تطور المصطلح بين اللغة والكتابة

م.م. فائق خلف سلمان
جامعة تكريت /كلية التربية / سامراء

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله والداعين بدعوته وبعد :

ظلت اللغة والكتابة فيما مضى قروناً عدة وهي قانعة بمجال محدود في البحث العلمي لاتكاد تجاوزه أو تتعداه ، حتى تنبهت الأذهان أخيراً ماتضمنته الكلمات من دلالات ، وبدأ الدارسون يرون في تلك الدلالات الغاية والهدف من كل لغة مكتوبة ، وإن اللغة في حقيقتها لاتعدو أن تكون وسيلة من وسائل تنظيم المجتمع الإنساني ، تربط بين الأفراد وتربط بين الجماعات وتربط بين الشعوب ٠

وأجمل تعبير خالد للغة ماقاله ابن جنّي[١]ت٣٩٢هـ :(هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم) وماقاله العالم الفرنسي رينان : (مامن شك أن اللغة والكتابة من أغرب ما وقع في تأريخ البشر)[٢]٠

ويمكننا القول استنتاجاً من قول ابن جني ورينان أن البعد الاجتماعي للغة والكتابة (أي تعيين الوظيفة التي تؤديها اللغة) هي النقل الفكري والإخبار العاطفي والتخاطب وإنجاز التفاهم بين أبناء المجموعة البشرية التي تتكلم هذه اللغة ٠ وهذا لايتم دون خلق وسط من التفاهم بين المتكلم للغة والمستمع لها ، بين الكاتب والقارئ لها ، وبعكس هذا تتحول اللغة إلى مجموعة ألفاظ أي أصوات لامعنى لها في حالة النطق وتخطيطات مبهمة في حالة الكتابة لأن الكتابة هي التي تخلق أشياء متكلمة ٠ وبهذا الذي سلف إن الهدف من البحث ينحصر في علاقة اللغة والكتابة في تطور المصطلح ومن غير شك فإنَّ تطبيقات هذه العِلاقة تقودنا إلى اللغة العربية لنستدل على المستوى الحضاري لها ولاسيما في مجال المصطلح العلمي الذي قد توفر في العربية قبل أكثر من ألف سنة ٠

وسأتناول في هذا البحث قدراً من المباحث التي تكشف أن اللغة والكتابة والفكر العلمي الحضاري هو مادة واحدة وليس من سبق لأحدهما على الآخر ، ويتكون البحث من أربعة مطالب تتضمن دراسة تاريخية للغة والكتابة وتطور المصطلح ثم ينتهي البحث بنتائج مرجوة الفائدة وهوامش وقائمة بالمصادر والمراجع ٠

المطلب الأول

أهمية اللغة :

أهمية اللغة تعد سابقة للكتابة من الناحية المرحلية لظهورها في التأريخ البشري ، ولانريد أن ننصرف إلى البحث عن نشأة اللغة ونظريات بداياتها التاريخية (لأن العلم لم يقدم لنا فرضية واضحة في أصل نشأة الإنسان فلن يتسنى بسط احتمال مرجح في أصل نشأة اللغة)[٣] ٠ وبذلك نحن نطبق قرار الجمعية اللغوية في باريس بعدم نشر أي بحث يتناول هذا الموضوع لأن هذا الجانب من المشكلة لاحلَّ له وقول ماريو باي[٤] (لو كانت اللغة تقليداً اجتماعياً- كيف إذاً صارت تقليداً إن لم تكن هناك وسيلة للتفاهم تسبق هذه المرحلة ؟ وإن كانت اللغة حقاً ظاهرة طبيعية فما الذي يقصد بذلك ؟ هل هي محض المصادفة التي تسببت بهذه الظاهرة ؟ أم أن خالقاً قادراً منحها للبشر ؟ ولو سلمنا بصحة نظريات المحاكاة الصوتية لماذا لاتوجد لغة واحدة سَجَّلها التاريخ تنطبق عليها هذه النظريات) ولدينا أقوى الإيمان وليس أضعف الإيمان قوله تعالى : ﴿ **وعلَّمَ آدمَ الأسماء كلها** ﴾ ٠ تعتبر اللغة الوعاء الحاوي لوسيلة التفكير الذي يحدد رؤية العالم ونواميسه ولذلك شكلت معرفتها أهم ركيزة تتمثل في نظم عامة يشترك في أتباعها أفراد مجتمع ما ، ويتخذونها أساساً لتنظيم حياتهم الجمعية وتنسيق العلاقات التي تربط بعضهم ببعض والتي تربطهم بغيرهم ، وأنها ليست من صنف الأفراد ، وإنما تخلقها طبيعة الاجتماع ٠ واللغة من الأمور التي يرى كل فرد نفسه مضطراً إلى الخضوع لما ترسمه ٠ وكل خروج على نظامها ولوكان عن خطأ أو جهل ، يلقى من المجتمع مقاومة تكفل رد الأمور إلى نصابها الصحيح وتأخذ المخالف ببعض أنواع الجزاء ٠

وإذا حاول فردٌ أن يخرج كل الخروج على النظام اللغوي بأن يخترع لنفسه لغةً يتفاهم بها ، فإن عمله هذا يصبح ضرباً من ضروب العبث العقيم ، ولن يستطيعَ إلى نشر مُخترَعِهِ سبيلاً ٠ وإن الفهم الكلاسيكي للغة يركز على المتكلمين ، باعتبارهم فاعلين أقوياء في المجتمع الذي يملك نسقاً للمعرفة اللغوية التي تجيز لهم إنتاج وفهم منطوقاتٍ ذات معنى ٠

(وإن عرض تقرير مفصل عن تطور اللغة يستدعي منا البحث في الاستمرار(Continuities) الموجود بين الجنس البشري والأنواع الأخرى من المخلوقات ففي الوقت الذي يصف فيه الخطاب الأول للغة بأنها مِنَّةٌ إلهية خصَّ اللهُ بها الإنسان ، يعتبرها الخطاب الثاني خاصية الإنسان المنفردة لترقى به إلى منزلة يكون الإلهُ فيها قد استنفذ كل أغراضِه) [٥] ٠

ونرى ان لفظ الجلاله الله مترجم خطأ لأن الله سبحانة وتعالى لاتستنفذ اغراضة في خلقه ولكن البديل للفظ هو استنفاذ قوة اله مفترض في البداية الوثنية التي زعم بها الفلاسفة اليونانيون امثال سقراط وافلاطون وغيرهم عندما افترضوا وجود قوة او مثال اله ترجع اليه امكانية المخلوقات.

نصل بذلك إلى مرحلة أخرى تكون من خصائص الإنسان وحاجته الماسَّة إلى محاولة اتقان لغته بقدر حاجاته وتعقيد أعماله لتكون لغته أشد مفعولية وأقلَّ عاطفية ، وتفوض الشاعر بالإنكار وتكف عن مخاطبة القلب لمخاطبة العقل وتعبير اللغة أشدُّ ضبطاً وأشدُّ وضوحاً) [٦] .

وشدة الضبط والوضوح والثبات بالنسبة للغة تتمثل في الكتابة ونرى أن المرحلة الثانية لبيان كيان اللغة وثباتها الاجتماعي الذي يؤدي إلى هدف الغرض الراقي بالكتابة هو رُقــيٌّ في الحضارة .

المطلب الثاني

أهمية الكتابة وتأريخ المصطلح :

(إذا كانت مسألة أصل اللغة لاتنطوي على حلّ مرضٍ ، فإن الأمر على خلاف ذلك في مسألة أصل الكتابة . لأن هذه الأخيرة يمكن مواجهتها بطريق مباشر وفي وسع الباحث أن يحيط ويلم بها في مجموعها . وذلك لأن أصل الكتابة قريبٌ مِنّا نسبياً ولم تعرف لنا اللغات القديمة إلاَّ منذ سجلتها الكتابة)[٧] .

إنَّ الأسلوب الأول في الكتاب لم يكن رسم الأصوات ، بل كان رسم الأشياء نفسها رسماً مباشراً مثلما كان يفعل المكسيكيون ، أو رسم غير مباشر مثلما كان يفعل المصريون قديماً ، أمّا الأسلوب الثاني فيكون بتمثيل الكلمات والقضايا بأحرف اصطلاحية مثل الكتابة اللاتينية . أما الأسلوب الثالث فيكون بتقطيع الصوت المُتَكَلَّم المتمثل بالكلمات والمقاطع فيمثل كل أسلوب مرحلة من مراحل التجمعات الإنسانية ليبين الصفة الحضارية ، فالأسلوب الأول (رسم الأشياء يناسب الشعوب المتوحشة ، علامات الألفاظ والقضايا تناسب الشعوب الهمجية والأبجدية تناسب الشعوب المدينة) [٨].

وأفضل مثال لذلك ما حصل في حضارة وادي الرافدين في طور الحضارة الناضجة وصار الإنسان يعيش حياة مستقرة مهيأة جماعات بالقرب من الحقول التي صار يزرعها وينتظم بنظم اجتماعية وسياسية متميزة متمثلة بالحضارة السومرية ولاسيما في مدينة الوركاء (٣٥٠٠ ق.م والحاجة الحتمية إلى الكتابة بالرموز والحروف والأرقام) . وبذلك نرى أن مراحل بدايات الكتابة في وادي الرافدين تناسب الأسلوب الثاني الذي قال[٩]به(جان جاك روسو) وهو تقطيع الصوت المُتكلَّم المتمثل بالكلمات والمقاطع ، وإذا أردنا أن نستكمل الرأي في بدايات مراحل الكتابة لابد لنا أن نستعرض ما قاله فندريس بهذا الخصوص (قال[١٠] فندريس : الكتابة التصويرية وهي أول كتابة نعرفها وإليها ترجع جميع نظم الكتابة المستعملة بين بني الإنسان وتنحصر في تمثيل كل فكرة أو كل شيء بعلامة مساوية ويمكننا أن نكوِّن فكرة عما كانت عليه في بدايتها بفضل ثلاث كتابات

تعرفها الآن معرفة تامة وهي الكتابة الصينية والكتابة المسمارية والكتابة الهيروغليفية ٠ ولكن ينبغي لنا أن ننتبه إلى أن هذه الكتابات جميعها لم تبق تصويرية محضة ، وإن تصوير الفكرة أو إن هذه الكتابات الثلاث جميعها لم تبق تصويرية محضة ، وإن تصوير الفكرة أو الشيء لايلعب في أقدم مانعرفه فيها إلاَّ دوراً محصوراً، ذلك بأن التصوير فيه وجوه كثيرة من القصور ويترك للعقل مجالاً شاسعاً للتكميل) وفي عقب هذا المتقدم نريد أن نقول بأن بدايات المصطلح التاريخية بدأت من ظهور الأسلوب الثاني الذي حدده(جان جاك روسو) وأعتقد أن رأي فندريس موافق لهذا بالرغم من ذكره توالي أنواع الكتابة التصويرية المخالف لجان جاك روسو لأن فندريس ذكر تنبيهاً في كتابة أنواع الكتابات الثلاث وقال (ولكن ينبغي لنا أن ننبه إلى أن هذه الكتابات الثلاث جميعها لم تبق تصويرية محضة) ٠

وقوله أيضاً لاتوجد كتابة تصويرية واحدة قد بقيت على ماهي عليه ، ولعل ذلك يرجع إلى قصور هذه الكتابة قصوراً بيِّنـــاً ؛ ولكنه يرجع كذلك إلى ذلك التطور الضروري الذي جعل من اللغة المكتوبـــة وسيطاً طبيعياً بين لغة التفكير ولغـــــة الكـــلام ٠

العقل في متناوله وسائل متنوعة للترجمة عن التفكير ، فكان لديه إشارة والصوت ؛ ثم خلق الـــصورة بعد ذلك ٠

فسمحت له هذه الوسائل باستعمال ألعلامات الاصطلاحية التي كانت تُطَّبق من قبـــل – بـــشيء مـــن التحوير – على حالات مختلفة يعني فيه تربع وتقييم (جان جاك روسو) لتوالي الأساليب الثلاثة لفكرة الاصطلاح التي تظهر في الأسلوب الثانـــي ٠

المطلب الثالث

تطور المصطلح :

يُقسـم هذا المطلب على ثلاثة أقســام :

أولاً : ما المقصود بالتطور ؟

تختلف آراء علماء اللغة في فهم التطور اللغوي نظراً لاختلاف وجهات نظرهم في فهم طبيعة اللغة – أية لغة – وقد صنف الأستاذ الدكتور[١١]كمال بشر هذه الآراء تصنيفاً دقيقاً،أرجعهُ إلى أربعةأقسام:-

١- التطور عند فريق من العلماء هو : الانتقال من طور إلى طور أحسن وأفضل ؛ evolvtion أو development فهو تحسن في اللغة ٠

١-٢- وفريق آخر يعد التطور ضرباً من الخطأ incorrectness . أي أنه تغيير للأسوأ ٠

١-٣- التطور عند فريق ثالث : نوع من الانحراف drift أو deviation أي أنه تغيير لم يصل بعد إلى حد الخطأ ٠

١-٤- التطور عند فريق رابع هو: مجرد التغيير change من طور إلى طورآخر ٠

والرأي الأخير الذي ينظر إلى التطور على أنه عملية تغيير ، هو رأي يقوم على فهم واقعي بطبيعة اللغة ، ولسنّة التطور الذي يصيبها فهو عملية دائبة ، ومستمرة ، استمرار المجتمع الإنساني ٠ والحكم بكون كل تغيير في اللغة هو تحسن ، فيه هدم لنظام اللغة ، وفتح لكثير من الثغرات التي يتسرب منها الخطأ واللحن إلى نظام اللغة العام ، مما يقوض هذا النظام على مر الزمن ٠ والحكم على التطور بأنه خطأ محض فيه تجميد للغة ، وتقيد لحركتها ، والحيلولة دون نموها وتجددها ٠ وهو أمر فيه حكمٌ بالإعدام على اللغة لأنه أشبه بمن يقضي بحرمان كائن حي من الغذاء الذي يعيد بناء خلاياه ويعيد تجديدها يفقده جسده ، خلال ممارسته لأنشطته المختلفة ٠ وما أبعد هذا الحكم عن طبيعة هذه الظاهرة المعروفة ((باللغة)) أما القول بأن التطور نوع من الانحراف ، فهو حكم مسبق على شيء في غير حاجة إلى حكم ٠ لأن التغير كالمادة العضوية الجديدة يتناولها الشخص فأما أن يستمرئها الجسم ويمتصها ، ويحولها إلى

أنسجة جديدة وتصبح جزئاً منه ، وأما أن يلفظها الجسم تدريجياً أو بطريقة مباشرة ٠ إن التطور في رأينا هو تغيير في نظام اللغة على أي مستوى من المستويات وعلى الباحث أن يرصد هذا التغيير، ويتابع حركته ، ويرصد أشكاله ، والطريق التي سلكها ليصل إلى اللغة ، ثم يسجل آثار هذا التطور أو التغيير ، هذا هو مانميل إليه ونتبناه في هذه الدراسة

ثانياً : المرحلة الأولى من مراحل تطور المصطلح في تاريخ الكتابة

أفصل مرحلة تحتمل التصديق على بداية كتابة المصطلح هي الكتابة المقطعية الصوتية التي استخدمها السومريون في المرحلة الثانية من مراحل تطور الكتابة [١٢] ((ففي هذه المرحلة كانت تتعذر كتابة الأمور والأفكار والمفاهيم المجردة كالصدق والأمانة والحق والألوان وأسماء العلم من أماكن وأشخاص وغيرها ، فدعت الحاجة إلى تلافي هذا النقص إلى تطور جديد ، باستعمال صور الأشياء المادية متتابعة لتمثل أصواتاً متتابعة فتوضع الصور واحدة بعد أخرى لتكون كل واحدة مقطعاً ،وليس حرفاً هجائياً فيكون المجموع (كلمة واحدة) ، فإذا أرادوا على سبيل المثال كتابة أسم شخص مثل (كور – آ- آكا) فإنهم يرسمون صورة مختصرة للجبل الذي لفظه في السومرية (كور) توضع أولاً ثم يرسمون إلى جنبها صورة خطين متوازيين تمثل موجات الماء لتعبر عن صوت (آ) وهو الماء ثم صورة فم الذي لفظه (كا) فيحصلون على كلمة (كور- أ – كا)) ٠

وهذه المرحلة قد صورها (جان جاك روسو)[١٣] وحدد لها مصطلح الأسلوب الثاني الذي تُمثَّل فيه الكلمات والقضايا بأحرف اصطلاحية وقال ذلك شأن الكتابة الصينية ٠ ونقول في ذلك إن اللغة الصينية لحد التاريخ المعاصر تصدق أقوال (جان جاك روسو) [١٤] لأنها تعتمد على النبر والتنغيم

وأصوات اللغة الصينية تحتاج إلى علامات إضافية لبيان الدلالة طبقاً لعلامات النبر والتنغيم وهي مرحلة اجتماعية ٠

(١) (كور – آ – كا) كور تعني جبل ، آ تعني الماء ، كما تعني فـم ٠

ثالثاً: المرحلة الثانية من تطور المصطلح في تأريخ الكتابة :

أبتكر السومريون مصطلحات قريبة من القياس والاطراد، فقد أدخلوا السوابق واللواحق والحشوات شبه القياسية على لغتهم المقطعية وقد يكون لاغيـاً مسألة الصورة التي يرسمونها بجانب المقطع الذي يُراد بدلالته فن من فنون المعرفة أو مصطلح يدل على علم من العلوم فـي ميـدان الطـب والزراعة والكيمياء والفلك والرياضيات والقانون والموسيقى والصناعة وغيرها ٠

وقد أرفدنا الدكتور مجيد محمد علي القدسي[١٥] ببحث في ذلـك قـال فيـه : (فقـد أدخـل السومريون السوابق واللواحق والحشوات إلى أبنية المصطلح كعلامات متميزة يستدل منها علـى طبيعة المفاهيم (**Conapts**) والدلالات (**Significations**) التي يتضمنها المصطلح بحيث أصبح من السهل على الدارس أن يلـم بطبيعة المصطلح ويتوصل إلى معرفة دلالته بمجرد النظر لمحاً ، وكأنه ينظر في كتاب حديث في الكيمياء أو الطب أو غير ذلك والأمثلة على ذلك فيما يأتي :

– سوابق ولواحق اللغة السومرية ودلالاتها –

الرمـــز	معنـى الرمـــز
A n	سابقة لأسم للآلهة
L u	سابقة لأسم الرجال
Sar	سابقة لأسم النساء
Kur	سابقة لأسم الأقطار والجبال
Urudu	سابقة لأسم المعادن
Ura	سابقة لأسم المدن
Gish	سابقة لأسم الأشجار والخشب
Z a	سابقة لأسم الأحجار
Lunn	سابقة لأسم الأغذية
Shar	سابقة لأسم البستان

– أسمـــــاء بعض النباتات في اللغة السومرية –

الرمـــــز	معنـــى الرمـــــز
Gish – Shim- Gir	شجرة الآس
= – Lam – CaL	شجرة البطم
= – lmner	شجرة النخيل
= – She- shar	شجرة الثوم
= – Da- Ru -Kn	شجرة الخس

والمرحلة الثانية يعبر عنها باللغة الانكليزية ((Allogman)) أي رمـــز مفرداتـــي مقطعـــي والكتابة المفرداتية المقطعية هي : كتابة يدل فيها الرمز أوالحرف على كلمـــة كاملـــة (رمـــز مفرداتي) أو رمز كتابي يدل على مقطع كامل (رمزمقطعي) أو علامات هجائية (الفيائية – الرموز الكتابية الحرفية التي تكتب بها اللغة) أو تهجئه كتابة واحدة حـــين تـــستعمل بوصـــفها علامات كلمة أو من علامات عبارة في كتابة مستعارة من لغة أخرى ٠ فالتهجئة السومرية على سبيل المثال (La- in – e) أي أن – لا – أي معناها (يزن أو هو يزن) ترمـــز إلـــى أو تمثل التهجئة الأكدية isaqqal ((شيقال – ومعناها – يزن أو هو يـــزن) وتهجئـــة اللفظـــة الآرامية – malka – ملكا ترمز إلى أو تمثل في العربية malik (ملك) وفي الفارسية – Sah (شاه) أي ملك))[١٦] ٠

ونلحظ أن هذه المرحلة من مراحل الكتابة هي القفزة من الكتابة المقطعية السومرية إلى المرحلة الثالثة التي أشار إليها جان جاك روسو وهي مرحلة المدنية التي استخدمت الكتابة الهجائيـــة أو الألفائية / أبجدية يعبر عنها (باللغة الانكليزية في المعجم الوجيزفي مطلحات الكتابـــة Alpha bet – or – AL phabctic riting[١٧] ٠

ونرى **أولاً:** أن مراحل تطورالكتابة قد ظهرت في العراق في حدود(٣٢٠٠ق٠م)[١٨]

معتمدين على قول جان جاك روسو [١٩] في قوله :

١–أن المرحلة الأولى للكتابة وهي رسم الأشياء تناسب الشعوب المتوحشة ٠

٢– أن المرحلة الثانية وهي علامات الأشياء والقضايا تناسب الشعوب الهمجية وهذه توافق الحضارة السومرية في بدايتها[٢٠] ٠

٣- أن المرحلة الثالثة وهي الأبجدية تناسب الشعوب المدنية ونضيف إلى ذلك من خلال حسنا اللغوي أن الكتابة هي التي تحث اللغة لتصور دلالتها عبر صوغ ألفاظها حتى تتلائم والتطور ألمفهومي الحاصل في ذاكرة الحضارة المتجددة [٢١] واعتبارنا مرحلة الكتابة المقطعية الصوتية هي بداية تاريخ المصطلح جاء من خلال تناسب حاجة المجتمع في تلك الفترة التاريخية إلى كتابة الأمور كالعلوم والأفكار والمفاهيم المجردة كالصدق والأمانة والحق والألوان وأسماء العلم من أشخاص وأماكن وغيرها) [٢٢] .

ثانياً : بعد مرحلة التخلص من الرمزية في الكتابة بدأ طور الكتابة الصوتية في مرحلة من مراحل الحضارة يسمى (جمدت نصر ٣٢٠٠ ق.م) واستمرت الكتابة بالتطور والتحسن حتى استطاعوا أن يدونوا بها جميع شؤون الحسيات المختلفة)[٢٣] .

ويعني ذلك أن المرحلة المدنية أصبحت في المرحلة الثالثة على رأي جان جاك روسو أي أن الأبجدية بدأت من هنـــــــا .

المطلب الرابع

تطور المصطلح العربي :

قبل أن نعرض بداية تأريخ المصطلح يجدر أن نقف وقفة عند تعريف المصطلح في المعجمات العربية وهل له وجود بلفظة ودلالته وبناءه الصرفي العربي .

وأفضل تعقيب لهذا الأمر ما كتبه الأستاذ الدكتور محمد هيثم الخياط في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني وقال : ((فقد[٢٤]أطلعت بآخرةٍ على مقال للأخ الفاضل الدكتور يحيى عبد الرؤوف جبر في مجلة اللسان العربي ، قال فيها : (أنه لغريب حقاً أن نجد معظم الباحثين يستخدمون كلمة مصطلح بدلاً من اصطلاح . مع العلم أن هذه الكلمة لاتصح لغة إلآ إذا اصطلحنا عليها ! ذلك أن أسلافنا لم يستخدموها ، ولم ترد في المعجم لهذه الدلالة ولا لغيرها واضحاً استخدم العرب بدلاً منها المفردات الآتية : الاصطلاح ، والكلمة ، والمفردة ، والمفتاح ، واللفظ ثم ساق لذلك عدداً من الأمثلة وهو مصيب في ذلك باديَ الرأي ، ولكن الأمر يحتاج إلى فضل بيان. ونعم ! كانوا كثيراً مايقولون ((الاصطلاحات))لهذه الألفاظ الاصطلاحية ونحن نجد هذه اللفظة في أسم أول معجم طبي عربي – بل لعله أول معجم طبي في العالم كله – من تأليف (أبي منصور الحسن بن نوح القمري المتوفى في آخر القرن الرابع الهجري) وهو ((كتاب[٢٥]التنوير في الاصطلاحات الطبية)) كما نجده في الكتاب الموسوعي العظيم[٢٦]((كشاف اصطلاحات الفنون)) للتهانوي المتوفى بُعَيد منتصف القرن الثاني عشر الهجري .

ولكن التهانوي نفسه يقول في كتابه هذا ((شمرت عن ساق الجد إلى اقتناء دفاتر العلوم ٠٠ فلم يتيسر تحصيلها من الأساتذة ، فصرفت شطراً من الزمان إلى مطالعة مختصراتها الموجودة عندي ، فكشفها الله تعالى عليَّ فاقتبست منها المصطلحات أوانَ المطالعة وسطَّرتها على جِدةٍ في كل بابٍ يليق بها على ترتيب حروف التهجي ، كي يسهل استخراجها لكل أحد ، ((ثم يقول الفن الأول في الألفاظ المصطلحة العربية وفيه من الألفاظ غير المصطلحة أيضاً)) ٠

ويستمر الدكتور بذكر مؤلفات في العلوم والفنون قد استعملت لفظة المصطلح مثل (القلقشندي[٢٧]في كتابه صبح الأعشى وابن خلدون في مقدمته[٢٨]٠

وأخيراً يقول : يتبين لك مما تقدم وهو غير مستقصى أن علماء هذه الأمة قد استعملوا الاصطلاح والمصطلح جميعاً كما يتبين كذلك أن الاصطلاح من الألفاظ المشتركة لأنها تستعمل للمصدر والأسم جميعاً، وخيرٌ لنا أن نستعمل لفظة لا اشتراك فيها : ثم أن الكاتب الفاضل قد قال في مقالته : ((مع إن هذه الكلمة – أي المصطلح – لاتصح لغةً إلاَّ إذا اصطلحنا عليها)) وقد اصطلحنا عليها بالفعل منذ مئات السنين كما رأيت والحمد لله٠

وندرك بحسّنا اللغوي أن استعمال لفظة اصطلاح بدلاً من مصطلح عند المعجمين العرب لها التبريرات الآتية :

أولاً :-

١- إن صيغة المصدر تأتي بعد الجذر قبل الصيغ الأخرى ٠

٢- إنَّ صيغة الفعل (اصطلح) تأتي بعدها لفظة (اصطلاحاً) وليس مصطلحاً ٠

ثانياً :

١- إن لفظة (مصطلح) وأصلها من الصلاح ضد الفساد كما ورد في (لسان العرب)[٢٩]أي أنَّ المعنى ((هذا الشيء يصلح لك ويمكن استعمال بالخيار المناسب ، فالمفعولية أنسب له أي : في استعماله اسم مفعول (مفتعل) بدلاً من المصدر (افتعال) وحتى الترجمة الإنكليزية للمصدر (infinitive) أي مقابل (افتعال) بينما الترجمة الانكليزية للمصطلح (tern) .

٢- المصطلح في المعجم العربي هو عبارة عن اتفاق القوم والتصالح على وضع الكلمة لمعنى مراد منه ولابدَّ في كل مصطلح من تجاوز المعنى اللغوي والخروج منه إلى معنى خاص ليكون مصطلحاً وإلا بقي معنىً لغوياً عاماً غير خاص بعلم والمسوغ عادة لنقل اللفظ من معناها اللغوي إلى معناها الاصطلاحي لوجود مناسبة بينهما ٠ ويعزز هذا القول أيضاً ماجاء بقه ابن فارس في كتابه[٣١] (الصاحبي) لهذا قال: كانت العرب في جاهليتها على إرثٍ من آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائِهم وقرابينهم فلما جاء اللهُ جلَّ شأنه

بالإسلام حالت أحوال ونسخت ديانات وأبطلت أمور ونقلت من لغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخرى بزيادات زيدت وشرائع وشرائط شرطت فعفي الآخرالأول وشغل القوم بعد المناورات والتجاوزات وتطلب الأرباح والكدح للمعاش في رحلة الشتاء والصيف ، وبعد الإغرام بالصيد والمعاقرة والمياسرة بتلاوة الكتاب العزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وبالتفقه بدين الله عَزَّ وجل وحفظ سُنَّة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مع اجتهادهم في مجاهدة أعداء الإسلام ، وبعد أن يقرر ابن فارس أنَّ ألفاظاً نقلت من موضع إلى موضع آخر بدأ يمثل هذه الألفاظ فقال (فكان مما جاء الإسلام ذكر المؤمنين والمسلم والكافر والفاسق) وحديث ابن فارس بهذه الصورة تعتبر مرحلة لتطوير المصطلح العلمي الموضوع عن طريق الابتداع مثلما فعل جابر بن حيان في تسمية المعادن بأسماء الكواكب مثل الشمس بمعنى الذهب والقمر بمعنى الفضة والزهرة بمعنى النحاس والمريخ بمعنى الحديد وزحل بمعنى الرصاص، فقد خرجت هذه الألفاظ عن معانيها الحقيقية لتدل على معان اصطلاحية خاصة وهذه ظاهرة موجودة في التراث العلمي العربي ، وقد تحدث (الأستاذ[٣٢]الدكتورعبدالصبور شاهين) عن تلك الظاهرة ، ونقل ما ذكره الخوارزمي في مفاتيح العلوم (إنَّ من أرباب صناعة الجواهر والعقاقير والأدوية مصطلحات خاصة بهم أشبه باللغة السرِّيّة) وقال الخوارزمي (ويكفي أرباب هذه الصناعة في الرموز عن الذهب بالشمس والفضة بالقمر وعن النحاس بالزهرة وعن الأسرب بزحل وعن الحديد بالمريخ وعن الرصاص بالقلعي وعن الخارصين بعطارد وقد يقع بينهم اختلاف في هذه الرموز أو في أكثرها لكنهم لايطادون يختلفون في الشمس والقمر ٠

٣- لقد عرف الدكتور علي القاسمي المصطلح وقال (هواسم يطلق على شيء أو مفهوم معين في حقل من حقول المعرفة ، وقد يتألف المصطلح من أكثر من كلمة)[٣٣]، يريد بذلك المصطلح المفرد والمركب تركيباً إضافياً ووصفياً مثل مصطلح عملية جراحية ، وعملية عسكرية مركب وصفي أو مثل كتاب سيبويه ، وكتاب الله٠٠٠ وهو مركب إضافي فهذه المصطلحات كلها تترجم Tarmjnology يعني المفرد المركب وبذلك أن لفظة مصطلح أفضل من غيرها ٠

ونستطيع أن ندرك هذا القدر العالي من الكمال في مجال المصطلح إذا ماعقدنا الموازنة بين العربية وسائر اللغات الأخرى ولعلي أخلص من هذا في قول[٣٤] (الدكتور إبراهيم السامرائي) لقد حفلت العربية بمادة ضخمة من المصطلحات التي تتصل بطائفة من العلوم البحتة كالكيمياء والطبيعة والصيدلة والفيزياء بالإضافة إلى العلوم الإسلامية كعلم الكلام والفقه والعلوم اللسانية كالنحو والبلاغة والعروض والأصوات ٠ ولقد أتيح للمجتمع العربي ولاسيما أبان العصر العباسي أن يتصل بالأمم الأخرى ٠ ثم أن تطلع العربي إلى ماعند هؤلاء الأمم من معارف مختلفة عمل على نشر الترجمة

وترجمت فلسفة الأغريق ومعارفهم المختلفة وكان للمصطلح العربي استخداماً واسعاً سواء بالترجمة أو التعريب أو استخدام العـــــرب ٠

نتائـــج البحـــث

١- لاشك في أن الكتابة هي نظام علامات ورموز وهي الطريقة المثلى للتعبير عـــن الأفكار وتوصيلها في المجتمع البشري ، ومن هنا عُـدّت الكتابة في غاية الأهمية فـــي الواقع الحضاري الإنساني وللمصطلح دور بارز وفعال في هذا الواقع٠

٢- أن تاريخ أقدم الأنظمة الكتابية يعود إلى السومريين في جنوبي وادي الرافدين فـــي العراق وهم أول من كتب بالمسمارية وأول من أخترع الكتابة وهذه البداية أطلق عليهـــا (عصر[٣٥]الوركاء ٣٥٠٠-٣٢٠٠ ق٠م (وجمدت نصر)

٣- إظهار البداية الأولى للمصطلح في العصر السومري وهو يتكون من إشارة كتابية مقطعية مقترنة بصورة معبرة برسم أو تخطيط لموضوع حسي أو واقعي للمعنى وقد تضمن البحث أبواب الكتابـــات المقطعية التي توالت في العصر السومري معتمدين بذلك[٣٦] على (المعجم الوجيز في مـــصطلحات الكتابة الذي نشر أجزاء منه الأستاذ الدكتور عناد غزوان في مجلة المورد) ٠

٤- قدم البحث دراسة وافية عن تطور المصطلح العربي ودخوله المعجم العربي والتفريق بين لفظـــة اصطلاح ومصطلح وبداية استخدامه في القرآن الكريم والعلوم الأخـــرى٠

الهـــوامـــش

(١) الخصائص ، ط ١ ، ص٨٧ ابن جني ت ٣٩٢هـ تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي دار الكتب العلمية ١٩٧١ .

(٢) اللغة العربية والهوية ، ص٤٨/ تأليف جون جوزيف ، ترجمة د. عبد النور خرافي عالم المعرفة الكويت ١٩٧٨ .

(٣) جان جاك روسو محاولة في أصل اللغات ، ص ١٠ / تعريب محمد محجوب تقديم د. عبد السلام المسدي تونس /١٩٨٦ .

(٤) لغات البشر أصولها طبيعتها تطورها ، ص ٢ تأليف ماريويابي، ترجمة د. صلاح العربي الجامعة الأمريكية بالقاهرة ١٩٧٠ .

(٥) اللغة والهوية ، ص ٤٨ .

(٦) جان جاك روسو ، ص ٤١ .

(٧) اللغة لفندريس ، ص٣٨٥ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ تعريب عبد الحميد الدواخلي ، محمد القصاص /مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٠ .

(٨) جان جاك روسو ، ص ٤١ .

(٩) نفس المصدر ، وينظر الواقع اللغوي العربي القديم ، ص ٩١- ١٠٧ .

(١٠) ينظر فندريس ص ٣٩١- ٣٩٤ .

(١١) دراسات في علم اللغة ، ط ٢ ، ص ١٢٤ الدكتور كمال بشر القاهرة ١٩٧٣ .

(١٢) الواقع اللغوي العربي القديم ، ص ١٠٣ تأليف مجموعة باحثين مراجعة الدكتور عبد الجبار ناجي بغداد ٢٠٠٦ .

(١٣) جان جاك روسو ، ص ٤١ .

(١٤) الواقع اللغوي العربي القديم ، ص ١٠٣ .

(١٥) ينظر المحاضرات في جلسات المجمع للسنة المجمعية ، ١٩٩١-١٩٩٢ ، ص ١٦٢-١٩٥ مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٩٢ .

(١٦) ينظر المعجم الوجيز في مصطلحات الكتابة ، ص ٦٦ ، ص ٦٧ ، ص٦٨ الدكتور عناد غزوان مجلة المورد / المجلد التاسع والعشرون العدد الأول بغداد/ وزارة الثقافة والإعلام .

(١٧) ينظر نفس المصدر .

(١٨) الواقع اللغوي العربي القديم ، ص ١٠٤ .

(١٩) جان جاك روسو ، ص ٤٠ – ٤١ .

(٢٠) الواقع اللغوي العربي القديم ، ص ١٠٤ .

(٢١) ينظر قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح ، ص ٢٠ الدكتور عبد السلام المسدي الدار العربية للكتاب ١٩٨٤ .

(٢٢) الواقع اللغوي العربي القديم ، ص ١٠٣ .

(٢٣) ينظر مقدمة في تاريخ الحضارة القديمة ، ص ٦٨، ص ٩٥ ، ص ٩٧ (الدكتور / طه باقر) .

(٢٤) الموسم الثقافي الثاني عشر لمجمع اللغة العربية الأردني ص ٩٧ ، ص ٩٨ نحو منهجية لوضع المصطلح العربي الحديث الدكتور محمد هيثم الخياط ، الأردن / ١٩٩٤ ٠

(٢٥) وفيات الأعيان / ابن خلكان ت ٦٠٨هـ / ص ٤ ، ص ٨٢ / دار صادر ببيروت ٠

(٢٦) كشاف اصطلاحات الفنون ج٢ ص٢٠٢ / تحقيق لطفي عبد البديع وآخرون ، الهيئة العامة للكتاب العربي / ١٩٧٧ ٠

(٢٧) صبح الأعشى في صناعة الانشا ، ج١ ، ص٢١٧ / تأليف أحمد بن علي القلقشندي / ت ٨٢١هـ م شرحه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين ٠

(٢٨) دراسة عن مقدمة ابن خلدون، ص ٦٠٨ / ساطع المصري/ القاهرة /مكتبة الخانجي / ١٩٦٧ ٠

(٢٩) لسان العرب صلح / ابن منظور / إعداد وتصنيف يوسف الخياط ، بيروت ٠

(٣٠) القاموس لغوي علمي (إعداد مكتب الدراسات والبحوث / مجموعة مؤلفين / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٩٧١ ٠

(٣١) ينظر الصاجي ، ص ٤٤، ص ٤٥ / أبي الحسن أحمد بن فارس ، تحقيق / مصطفى الشويمي /بيروت ١٩٦٣

(٣٢) العربية لغة العلوم والتقنية ص٩٢ / المملكة العربية السعودية / ١٩٨٣ ٠

(٣٣) التعابير الاصطلاحية والسياقية / مجلة اللسان العربي ، المجلد ١٧ ، ط ١ ، ص ٣٢ ٠

(٣٤) ينظر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم / المغرب / ١٩٧٧ ، اللغة والحضارة ، ص ٣٠ / الدكتور إبراهيم السامرائي / المؤسسة العربية للدراسات والنشر / بيروت / ١٩٧٧ ٠

(٣٥) ينظر مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة ، ص ٦٦ ، ص ٧٣ / الدكتور طه باقر / بغداد / ١٩٥٥ ٠

(٣٦) مجلة المورد / المجلد التاسع والعشرون / العدد الأول / ص ٦٦ / بغداد – وزارة الثقافة ٠

المصـــادر والمراجـــع

(١) التعابير الاصطلاحية والسياقية / مجلة اللسان العربي / المجلد ١٧ ، ط ١ ، ص ٣٢ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم / المغرب / ١٩٧٧ ٠

(٢) جان جاك روسو / محاولة في أصل اللغات / تعريب محمد محجوب / تقديم عبد السلام المسدي / تونس / ١٩٨٦ ٠

(٣) الخصائص / ابن جني ت ٣٩٢هـ / تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٩٧١ ٠

(٤) دراسات في علم اللغة / الدكتور كمال بشر / القاهرة / ١٩٧٣ ٠

(٥) الصاحبي / تأليف أبي الحسن أحمد بن فارس / تحقيق مصطفى الشويلي ٠

(٦) صبح الأعشى

(٧) العربية لغة العلوم والتقنية / الدكتور عبد الصبور شاهين / السعودية / ١٩٨٣ ٠

(٨) القاموس لغوي علمي / إعداد مكتب الدراسات والبحوث / مجموعة مؤلفين / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٩٧١ ٠

(٩) كشاف إصطلاحات الفنون / تحقيق لطفي عبد البديع وآخرون ، الهيئة العامة للكتاب المصري / ١٩٧٧ ٠

(١٠)لسان العرب/ ابن منظور ، ت ٩١١هـ/ ترتيب يوسف الخياط / بيروت

(١١) لغات البشر / أصولها ، طبيعتها ، تطورها / تأليف ماريو يابي / ترجمة / الدكتور صلاح العربي / الجامعة الأمريكية بالقاهرة / ١٩٧٠

(١٢) اللغة / فندريس / ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص / مكتبة الأنجلو المصرية / ١٩٥٠ ٠

(١٣) اللغة والحضارة / الدكتور إبراهيم السامرائي / المؤسسة العربية للدراسات والنشر / بيروت / ١٩٧٧ ٠

(١٤) اللغة والهوية / تأليف جون جوزيف / ترجمة عبد النور خرافي / عالم المعرفة / الكويت ١٩٧٨ ٠

(١٥) المحاضرات العامة في جلسات المجمع للسنة المجمعية / ١٩٩١- ١٩٩٢ / مطبعة المجمع العلمي العراقي / ١٩٩٢ ٠

(١٦) المعجم الوجيز في مصطلحات الكتابة / الدكتور عناد غزوان / مجلة المورد / المجلد التاسع والعشرون / العدد الأول / بغداد / وزارة الثقافة والإعلام ٠

(١٧) مقدمة ابن خلدون / دراسة ساطع الحصري / القاهرة الخانجي / ١٩٦٧ ٠

(١٨) مقدمة في تاريخ الحضارة القديمة / الدكتور طه باقر ٠

(١٩) مجلة المورد / المجلد التاسع والعشرون / العدد الأول / بغداد / وزارة الثقافة ٠

(٢٠) الواقع اللغوي العربي القديم / تأليف مجموعة باحثين / مراجعة / مراجعة الدكتور عبد الجبار ناجي / بغداد / ٢٠٠٦ ٠

(٢١) وفيات الأعيان / ابن خلكان / ت ٦٠٨ هـ / دار صادر / بيروت ٠